

## شيزوفرينيا عراقية

مهند يحيى حسن

أصبح من الصعب أن تدرك شيئاً .. ولكنها .. وفي اللحظة التي تسبق الاختناق , استطاعت أن تميز صوتها من بين حشد أصوات الأطلاقات المتنافرة .. هادئاً هدوء الموت , ثائراً .. عنيفاً .. وتمطى كل شيء بعد ذلك بوجل هارب ومفزع .

انتزعت نفسها من فرن الأصوات الهادرة .. لم تعد تتذكر تسلسل الحركة .. ولا أشكال الوجوه .. وفرعها وهم يفرغون فيها وابل الرصاص.

لم تعد تميز من معالم وعيها المفرج سوى شارع طويل تجري فيه بلا هواده كحصان مجروح هائم بين حراشف الأشجار ورفات صخور نامت عليها أوراق الخريف

... شارع متسق الأبعاد, يطويه الفراغ المظلم .. ينتظر قدومها بفارغ الصبر ليغرقها في دثاره الأثيري .. الضبابي المظلم ..

شارع لا يتنفس إلا بوقع قدميها الصارختين وهي تحمل ثقل الجسم .. وكومة أحزان محمولة في سلة سندان عقلها المرهق..

((.. هذا الصمت يربعها ويحذر شغفها للتذكر.. ييلعها ككفن مفروش .  
كجراد متناسل في حقل لا متناهي .. ))

وقع أقدام تتقدم برتابة فتبتلع السكون .. تتقدم لتنهشها وتغرقها في

لهاث متدحرج .. تتحرك .. تتحرك .. حاصرتها ملوحة عند الحلق ..  
تخنقها رغبة تكاد تغتصب صرخة مكبوتة في دهاليز حنجرتها المرتجفة  
ترتعش .. تتمزق أسارير وجهها .. في لحظة .. أدركت بمجسات عقلها  
الظائمة أن الحزن والخوف هما .. الهاجس .. الحقيقة المرة , الوحيدة  
في حياتها .. إنهما شغلها الشاغل .. من يدري لعلهما المتاهة الوحيدة  
المتبقية لتتبه في مجاهلها

- (( كل الحقائق كاذبة .. كل شيء يكمن فيه خطأ ما .. كل شيء ))

الخطوات تتبعثر مع التعب المتسلل بانتشاء في جسدها الضامر المرهق ..  
بدأت تحس بثقل جسمها يتزايد .. يثقل .. يتواثب .. فيسقط على قارعة  
رصيف مكسورة .. تهالكت .. تمددت اليدان مثل غصنين طريين .. تقوس  
ظهرها على هيئة علامة سؤال .. فوران دائم يشق جبهة الصدر بوجوم  
متوحش .. تتقاذف نفسها كمنجل يترنح بين أعناق سنابل متكاسلة ..

- (( ما الذي حدث لهذا العالم .. تصرخ مهتاجة :- أبي اتركوه .. لا تطلقوا  
عليه النار .. لا )) .. ضياع أبدي في رحم عالم أخرس .. جسد آخر يتماوج  
من وقع معاول الرصاص المتراشق .. يغيب في سنادين الذاكرة ثم ينهض  
ليلحقها في سباق هستيري .. يدنو .. ويدنو .. ثم يتلاشى في الفراغ .

يعلو صوت وليدها .. مبتدئاً من ثغرة التلاشي .. يتلمس تضاريس  
ذاكرتها المتهشمة... يدغدغ صمتها السجين ... صوت مفجع .. كأنغام  
مزمار مشروخ .. حاصر أذنيها .. تغلغل في مسامات عقلها الأهليليجي  
وأقفل المسارب عليها .

صوت زوجها وصورته تغلف كل الموجودات بلون واحد لا تعرفه .. خليط  
أحمر، اختلط برائحة البارود الأسود .. وجه يعبس .. يطبق على شفثيه ..

دم أحمر دافئ يجري كنهز تحت السرير المهترىء يتقيؤه جسده الممزق .. انتفضت كل مشاعر الغضب من صدرها .. اعتقدت أنها تستطيع أن تنهض الشمس من مهدها لتزيل ظلام ليل دام .. تتسارع الخطوات بالقرب منها.. وتدور معها نبضات مخنوقة .. يتجمد وجهها مفزوعاً مرة أخرى .. كادت حنجرتها تفلت من مدار حلقها الجاف .

الدائرة تضيق .. الصوت .. الوالد .. الطفل .. الزوج .. الوحش القاتم .. الرشاش المدوي .. المنصة تهتز..العقل يشتعل بإيقاع رتيب ومتصاعد .. ترتجف الأوصال .. تحتضر المهممات .. تحاول الوقوف ولكن خوفها أصابها بالشلل .. يزرعها .. يذلها .. كطائر فقد جناحيه بين الغيوم .. دائرة الأصوات تقترب .. وأصوات الرشاشات تستشيط , الأفق يخيطنها بين لحظات السكون .. يثبتها كي لا تنساب من مكانها كأخطبوط أخرج إلى اليابسة من الماء .. تغوص في مخاض هستيري .. تحاول الوقوف .. ثم .. ((طاخ .. طاخ)) .. أصداء تتكرر في مشيمة ذاكرتها القلقة .. تلفظها إلى رحم المجهول .. يخيم سكون ثقيل يحيط به صرح خاو كرجع النبض يلتف متشرنقاً بحبل متين .. بهت الألوان , واختلطت الأصوات بوابل من الصور .. المنصة تهتز .. الفنجان يتشظى .. حشرات تعلق همساتها .. تدلي عقلها .. تثبت جسمها كمسامير صدئة على قارعة الطريق .. كان صوت النبض في دمها يتململ , ويتمدد بشكل جديد لم تألفه .. يتشكل جينياً .. يستعذب صرخته الأولى .. يختلط بصورة والدها وهو يحملها لأول مرة .. بصورة زوجها وهو يضمها لأول مرة .. بصرخة وليدها وهي تعانق ثغره لأول مرة .. تتلاشى أوجاعها في أهدود ومسارب ذاكرتها الخاوية .. يرتفع الجسد الممدد قليلاً ثم تشرأب الرقبة في سباق هستيري نحو مساحة ضوء نازفة من مجاهيل الغيب ..

-((آه .. آه أريد أن ألامس زهرة والدي بيدي الراحفة حد الانكفاء..  
ضميني بين وسادات أياديك وأطفئي صريرالنزف المؤجل في حنايا روحي  
المكمنة بالسراب ..أقبلي أليّ فأنا بانتظار لمستك الحانية.. آآه ))

وبهدوء أبتلعها حوت السكينة للمرة الأخيرة .. رفرت روحها بعيداً  
عن جسدها سابحةً في الأفق رغم كثافة الهواء .. وانتهت لعبة الأصوات  
بمضع القساوة والدموع .. وألقيت ورقة أخرى في مخافر شرطة هذا  
البلد ضد مجهول .